

## الأخلاق 12 أدب العالم مع طلبته الحصة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، ولا سهل إلا ما سهلته، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، فاجعل الحزن سهلاً، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وفهماً يا رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. أما بعد، فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبارك الله يومى ويومكم وأعمالكم وأعمالكم، ونفعني الله وإياكم بهذا اللقاء تجاه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الشرفاء مع درس جديد من دروس مادة الأخلاق، ومع كتاب تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم، والمتعلم لصاحبه الإمام العلامة القاضي ابن جماعة الكنانى الشافعى رحمه الله تعالى. وصل بنا الحديث إلى النوع التاسع، وهو قوله رضي الله عنه ونفعنا بعلومه في الدارين، آمين، إذا سلك الطالب في التحصيل فوق ما يقتضيه حاله، أو تحمله طاقته، وخاف الشيخ ضجره، أو صاه بالرفق بنفسه، وذكره بقول النبي صلى الله عليه وسلم إن المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى. ونحو ذلك مما يحمله على الأناة في الاجتهاد، كما قلنا الشيخ، يجب أن يكون حكيماً، ويجب أن يكون طبيباً لقلوب طلبته، وعارفاً بما يصلح بهم، فإذا رأى أن الطالب من شدة حرصه على الانتفاع والإفادة وزيادة التعلم قد يكلف نفسه ما لا تطيق، فتجده يكثر من حفظ المتون في نفس الوقت، وتجده مثلاً يقلل من نومه أكثر من اللازم، يعني يكلف نفسه ما لا تطيق ويتعب نفسه، فهذا قد يرجع على الطالب بالمضرة. فيوصي بأن يتأنى، وأن ينظم وقته، وأن يعطي لكل شيء حقه أن يعطي لنومه حقه، وأن يعطي لصحته حقها، وأن يعطي لأكله وشربه حقه، وأيضاً أن يعطي للعلم حقه، ومن باب إعطاء العلم حقه أن لا يكثر من الدروس في نفس اليوم حتى يستوعب ما يأخذ من المعلومات، قد تجده مثلاً، يحفظ اليوم مقداراً كبيراً من المتن الفلاني، ثم يذهب إلى المتن الفلاني، ثم يذهب إلى المتن الفلاني، ثم يذهب إلى هذا الدرس وذلك الدرس، ويكثر من الدروس في نفس اليوم، هذا قد لا تكون منه نتيجة، وقد لا تحصل منه نتيجة لذلك. الشيخ يوصي الطالب بالترفق والتأنى. والعلم لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم بالتعلم ما معنى العلم بالتعلم؟ أن يحتاج إلى تدرج، ويحتاج إلى وقت، ويحتاج إلى أناة حتى تحصل الفائدة. ثم قال وكذلك إذا ظهر له منه نوع سامة، أو ضجر، أو مبادئ ذلك أمره بالراحة، وتخفيف الاشتغال. يعني الشيخ قد يلاحظ على الطالب خاصة أولئك الطلبة الملازمين للشيخ، يعني صار هناك علاقة قوية بين الشيخ والطالب بحيث الطالب يفهم الشيخ والشيخ يفهم الطالب فتظهر علامة أو علامات السامة والملل والضجر، فهذا الطالب الآن ليس هو نفسه الطالب، الأسبوع الماضي واضح عليه علامات عدم التركيز، واضح عليه علامات التعب وعدم الفهم والاستيعاب، فهنا يوصي الشيخ الطالب بأن يأخذ راحة مثلاً أن يذهب إلى بلده أياماً معدودات، أن ينقطع قليلاً عن دروس العلم حتى يجدد النشاط ويجدد الهمة، فيرجع إلى الدروس بإقبال ويرجع إليها بنفسية تبعث على الراحة وعلى الاطمئنان، وعلى استيعاب المعلومات. أخرى، لذلك كل ما تظهر مثل هذه العلامات، وهذا موضوع مهم جداً، لأنه قد تخلف هذه أزمات نفسية، وقد تظل هذه الأزمات النفسية سنين طويلة مع الطالب، يعني هذه الأزمات من مخلفات عدم الراحة، وأصلاً النبي صلى الله عليه وسلم أوصى سيدنا حذيفة في الحديث المشهور نافق حنظلة لما قال له يا رسول الله نكون عندك

تذكرنا بالجنة والنار كأني رأي عين. ثم إذا خرجنا من عندك عافستنا الأموال والأزواج والضيعات، فنسينا كثيرًا ماذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم ساعة وساعة، يعني لا بأس من أن تعطي لأهلك حقهم، وأن تعطي لنفسك حقهم، وأن تعطي للنوم حقه، حتى تكون طالبًا متوازنًا، موازنًا، مستقيمًا في كل قال، ولا يشير على الطالب بتعلم ما لا يحتمله فهمه أو سنه، ولا بكتاب يقصر ذهنه عن فهمه. يعني طالب مثلاً للأستاذ طالب صغير في السن، أنا أعلم أن هذا الكتاب لا يليق به، لا أصيب بأن يقرؤه بأن يحفظه، لذلك جعلت متون خاصة بالصغار ومتون خاصة بالكبار كتب خاصة بالمبتدئين، كتب خاصة بالمتوسطين، كتب خاصة بالمنتهين، فلكل كتاب مستوى خاص به. وأيضًا لكل كلام خاص بسن معين. لذلك، ناسب أن يجعل الشيخ والأستاذ سنًا معينة كشرط من شروط الالتحاق بدروسه، فهذه الدروس لا تصلح بالصغار، نقصد بالصغار، العمر مثلاً، لماذا؟ لأن المعلومات ولأن المنهج لا يليق بذلك السن، فالمطلوب مثلاً من الثانوي فما فوق، فأرجو من كان سنه أدنى من ذلك أن لا يحضر المجلس رافة به، ورفقًا به، لا لأجل حرمانه من العلم، حتى إذا كبر يمكن أن يلتحق بالدرس بعد أن يمشي في التدرج، وفي السلم التعليمي الذي وضعه الربانيون، وآتى أكله، وثمره على مدى السنين الطويلة.

فإن استشار الشيخ من لا يعرف حاله في الفهم، والحفظ في قراءة فن أو كتاب لم يشر عليه بشيء، حتى يجرب ذهنه، ويعلم حاله، يأتي طالب الشيخ لا يعرفه، فيقول له يا مولانا هل تنصحنى بقراءة كتاب كذا؟ طبعًا هذا الكتاب مثلاً جعله العلماء ووضعه العلماء في مستوى معين، والشيخ لا يعرف مستوى الطالب فيسأله ما هي الكتب التي قرأتها في هذا الفن؟ أو يختبره ببعض الأسئلة حتى يعرف مستواه، فيعلم أن هذا الكتاب يليق به أو لا يليق به، فلا يجيب هكذا جزافًا حتى يختبر مستواه، ويعلم مستوى الطالب ومستوى السائل. فإن لم يحتمل الحال التأخير أشار عليه بكتاب سهل من الفن المطلوب، مثلاً ماذا توصيني يا مولانا؟ في هذا الفن؟ الكتب؟ ومثلاً هذا السؤال جاء في سياق لا يقتضي الإطالة أو مثلاً الشيخ على عجلة من أمره، أو أي ظرف، فيعطيه كتابًا يليق بالجميع، ماذا تصيني في كتب السيرة؟ اقرأ الرحيق المختوم؟ خلاص، هذا كتاب يعني بسيط يصلح للجميع. يا مولانا، ماذا تصيني في كتب الفقه المالكي؟ اقرأ الأخضر، هي كتب تصلح للمبتدئين ولما فوقهم، حتى إذا كان مبتدئًا يصلح به، وإذا كان فوق ذلك يصلح به أيضًا. فإن رأى ذهنه قابلاً، وفهمه جيدًا، نقله إلى كتاب يليق بذهنه، وإلا تركه، هذا قال له اقرأ الأخضر، فقال يا شيخنا أنا قرأت على الشيخ فلان الأخضر وابن عاشر، فماذا توصيني؟ بقراءة كتب أخرى؟ خلاص؟ الآن؟ علم الشيخ مستوى هذا الطالب، فيعطيه الكتاب الذي يليق بمستواه، وذلك لأن نقل الطالب إلى ما يدل نقله إليه على جودة ذهنه يزيد انبساطه، وإلى ما يدل على قصوره يقلل نشاطه. يعني إذا كان الطالب ما شاء الله صاحب همة عالية وعزيمة كبيرة وصاحب ذهن وقاد، قد يكون الكتاب الذي ينصح به الشيخ دون مستواه، فهذا يعني يقلل من نشاطه، لذلك تعطيه كتابًا يرفع من همته ويزيد من نشاطه، ولا يمكن الطالب من الاشتغال في فنين أو أكثر إذا لم يضبطهما، بل يقدم الأهم فالأهم. كما سنذكر إن شاء الله تعالى. يعني من وصايا وحكمة المشايخ والأساتذة أنه مثلاً يأتي إلى الطالب ويقول له لا تبدأ في قراءة هذا الفن، مثلاً أعطي مثلاً وبالمثال يتضح الحال، والمقال هو بدء في مستوى المبتدئين يقرأ في علم العقيدة والطالب يريد أن يتعلم مثل علم المنطق، فيقول له لا فائدة الآن من دراسة علم المنطق، المستوى لا يسمح، يعني مستوى الطالب الآن لا يسمح بقراءة علم المنطق، فيمنعه من علم المنطق، أو مثلاً هو يقرأ في فن من الفنون،

فيأمره بأن يصب كامل وقته وتركيزه على هذا الفن حتى يتقنه، بعد أن تكمل الأجرومية مثلاً بشروحها والصرف والبلاغة، سننتقل مثلاً إلى فن آخر، حتى لا يضيع وقته بين أكثر من فن، فلا يتمكن من أي فن. أن الطالب إذا اختلطت عليه الفنون واختلطت عليه قراءة الكتب، قد لا يتمكن من أي فن، فتجده يعني النتيجة التي حصلها بعد هذا الوقت مجرد معلومات من هذا الفن، ومعلومات من هذا الفن، لماذا؟ لأنه لم يركز على فن من الفنون، وهذا أيضاً راجع إلى معرفة الشيخ بقدرة الطالب ومدى ذهنه، يعني مدى قوة ذهنه ومدى ذكائه، وإذا علم أو غلب على ظنه أنه لا يفلح في فن أشار عليه بتركه، والانتقال إلى غيره مما يرجى فيه فلاحه. الفائدة، ليس في كثرة العلوم، وكثرة الدروس دائماً، هذه من وصايا مشايخنا، قال يعني كم من طالب أجده ما شاء الله ثابتاً في كل الدروس، وفي كل الحلقات، تجده عند الشيخ فلان، وعند الشيخ فلان، وفي العلم الفلاني، وفي العلم الفلاني مواظب، ولا توجد نتيجة. لماذا؟ لأنه يحضر هكذا للبركة؟ يجلس مع المشايخ للبركة، أو تجده مثلاً لا يفقه شيئاً؟ يعني هي في الأخير كما قسم الله سبحانه وتعالى الأرزاق الحسية، قسم الأرزاق المعنوية، وقسم العقول، فقد يكون عقل هذا الطالب وذهن هذا الطالب لا يتقابل مع هذا العلم، خلاص، يعني هو ليس يعني ذهنه، ليس يقابل الفنون المعقولة، فخلاص ركز على المنقول. أنت يصلح بك علم الحديث، أنت يصلح بك علم الفقه، وهذا يصلح به علوم المعقول، ما شاء الله ذهنه وقاد وصاحب ذكاء وفطنة؟ فخلاص. أنت يصلح بك الاشتغال بعلم المنطق والفلسفة وعلم العقيدة، وهكذا، فالشيخ أيضاً مؤطر، وموجه حسب قدرات ومستويات الطالب، نكتفي بهذا القدر، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.